

المراهقة و الجنوح

كشفت الدراسات على أن حوالي 38% من حالات جنوح الأحداث تحصل عندما يكون مقترفوها بين 14-16 عاما ، و أن 34% من حالات جنوح الأحداث تحصل عندما يأتيها الناشئون ، فيما بين 16-18 من العمر ، فهذه النسبة العالية جدا تظهر بوضوح أن الجنوح و المراهقة يسيران جنبا إلى جنب وذلك لأن الفترة الواقعة بين الرابعة عشر و الثامنة عشر من العمر ، والتي يصفها هادفيلد **Hadphiled** بأنها فترة تتصف بالنمو السريع في التكوين البيولوجي و في الوظائف الفسيولوجية على نحو لا يتاح فيه للجوانب العقلية و الفكرية للحاق بمتطلبات الجوانب الجسمية ، فتكون هناك فجوة حاصلة داخل كيان الفرد الناشئ ، فبدلا من ان يحصل انسجام و تناسق بين سائر أركان وحدة الفرد البيولوجية ، يحصل تخلخل ناجم عن عدم التوازن المطلوب.¹

تعد المراهقة مرحلة نمائية - انتقالية - أساسية سبق و أن أشرنا أنها تتميز بتغييرات جذرية - سريعة - مفاجئة ، إلى درجة أنها وصفت بمرحلة التوتر ، الشدة العاصفة ، . وتكمن أهميتها مما تلعبه من دور في تحديد الخطوط العريضة للمراحل الإنمائية القادمة.

و ما يجعلها تمتاز عن باقي المراحل الإنمائية الأخرى هو التغييرات الجسمية - البلوغ الجنسي - و ما يصاحب من ردود أفعال و تغييرات نفسية واجتماعية لدى المراهق ، هذا الاخير الذي قد يتكيف و قد لا يتكيف مع تلك التغييرات.

سبق و أشرنا أن مرحلة المراهقة بمثابة ميلاد جديد ، كما أشرنا أن البلوغ الجسمي خاصة في الجانب الجنسي يجعل الفرد يتحول من كائن لا جنسي إلى كائن جنسي تكون له أدوار جنسية مستقبلية كوظيفة الاستمرار و الحفاظ على النوع مثلا ، و عليه يكون الميلاد الجديد هنا هو ميلاد نفسي - اجتماعي - وجودي ، وهنا أيضا يكتب المراهق ذات متفردة تسبقها عملية اكتشاف الذات الغير والعالم.

و عليه فطبيعة نموه العاطفي النفسي الفكري و الجسمي هي التي تملي عليه تصرفه ، فالمراهق يريد أن يعرف كل شيء في محيطه و على محيطه ، في هذه المرحلة هناك خصوصية أيضا في سبيل هاته المرحلة : يريد أن يعرف الأشياء و قيمة الأشياء في حد ذاتها، ² La valeur intrique des choses ومن المنظور النفسي و من خلال ما سبق عرضه ، تترك هذه المرحلة آثار و معالم بارزة في تكوين شخصية الأفراد ، لا تكون مثل المراحل الخمس الأولى وما أعطاه التحليل النفسي من أهمية الخمس

¹ - عبد العلي الجسماني، سيكولوجية الطفولة و المراهقة، مرجع سابق ، ص : 268،269.

² - محمد الأمين الطريفي ، دليل النمو النفسي لطفل من الولادة إلى المراهقة ، مطبوعات جامعية ، سوسة ، 1986 ، ص

سنوات الأولى ، و لكن للمراهقة خصوصية لا تقل أهميتها عن المراحل التي سبقتها ، فإذا كانت الطفولة مرحلة ترسى فيها دعائم الشخصية ، فالمراهقة مرحلة تتبلور فيها ملامح هذه الشخصية ، إلى أن الانتقال من الطفولة إلى النضج قد يجرف معه أزمات يصعب المراهق التعامل معها ، فبعد مرحلة من الهدوء والالتزان ، إلى مرحلة الهياج و الاضطراب الانفعالي و تقلب المزاج و الحساسية إزاء أبسط الأمور .

و رغم ما اكتسبت به هذه المرحلة من أهمية ، لكن علينا التنويه أنه ليس بالضرورة أن تأخذ المراهقة هذا الشكل المتأزم المضطرب ، كونه لا توجد صفات ثابتة و موحدة يشترك فيها جميع المراهقين . ما يدخلنا في دائرة الاضطراب.

و من يعد الجنوح انحراف سلوكي نجده عند الطفل و المراهق ما دون الثامنة عشر ، و نجد أشكال عديد لجنوح المراهق نذكر منها : السرقة ، أعمال العنف و التخريب ، الادمان و المخدرات ، الانحرافات الجنسية ، الكذب المرضي ، البطالة ، التشرذ ، كما يشعر المراهق الجانح بالنبذ و مشاعر الحرمان و النقص من طرف الأسرة والرفاق .

و توجد مجموعة من العوامل تجعل المراهق يكون أكثر عرضة من غيره نحو الجنوح ونذكر منها :

- يكون الجنوح تعبيراً عن عدم اشباع حاجات المراهق ، و ما تسببه من الاحباط ، و إن عدم اشباع تلك الحاجات تجعل المراهق يتمرد عن البيئة المحيطة به و يحاول أن يعاقبها.
- الانتماء إلى جماعة رفاق تكون تمارس إحدى أشكال الجنوح ، و نحن ندرك أهمية الرفاق في هذه المرحلة التي قد تفوق في كثير من الأحيان أهمية الأسرة.

- التركيبية الانفعالية للمراهق و التي تسبب له عدم الاتزان الانفعالي ، كما تجعله أكثر تقبلاً لعوامل الاغراء و الايحاء .

- قد يكون الجنوح تعبيراً عن الضغوط التي يتعرض لها المراهق ، و قد تكون هذه الضغوط اسرية كالأساليب التربوية الخاطئة ، ضغوط مدرسية عدم التكيف المدرسي و الفشل الدراسي ، ضغوط اجتماعية .

- عدم الاستقرار الاسري و مظاهر الحرمان العاطفي و غياب احد الوالدين ، طلاق أو انفصال.

إن التمرد و الرفض و العناد مظاهر موجودة في مرحلة المراهقة ، و لكن لا يجب الربط بين الجنوح والمراهقة ربطاً حتمياً ، و عليه نقول أن الجنوح في مرحلة المراهقة امكانية و ليس حتمية ، وما يؤكد هذا ما سبق عرض في عنصر أشكال المراهقة ، إذ تبين وجود المراهقة المتوافقة كشكل من أشكالها.